

## الفصل الثالث

# الغضب الأبوي

### عدم منح الفرص

وأنا أقوم بإعداد هذا الكتاب، قالت لي أم شابة: «إني أغضب أحياناً بشدة فأعامل الأولاد معاملة سيئة. إنهم يزعجونني؛ فجوني مثلاً يضايق ماري دائماً ويجعلها تبكي. ويجب عليّ مراقبتهم باستمرار لأمنعهم من ارتكاب الأخطاء. فماذا أصنع للتغلب على غضبي؟»

في الماضي كان والدا هذا الولد يجازيان العصيان بالعقاب المؤجل، فيقولان: «لقد أمرتك يا جوني من قبل ألا تفعل ذلك. وسوف أعطيك فرصة أخرى، وبعدها سأضطر إلى معاقبتك». وكلما استمر عصيان الطفل، زاد إحباطهما.

لقد تمكّن الوالدان من تعليم ابنهما أن يعصى أوامرهما حتى يبلغ إحباطهما مستوى معين، وحين يلاحظ الولد أنهما قد تحمّلا كل ما في طاقتهما، يتراجع قليلاً وإلى فترة محدودة. ثم يعاود عصيانه ونشوزه بمجرد هدوءهما. أحياناً، كان الولد يخطيء في حسابه ويحمّل أمه فوق طاقتها، «فتنفجر» فيه قبل أن يتمكن من ملاطفتها وتهديتها.

ومن المؤكد أن غضب الأم سيزول بزوال المسبب. وهذا المسبب ليس الأولاد، إنما هو عصيانهم لأوامرها. طبعاً استطاعت الأم أن تجبرهم على طاعتها في النهاية، لكن الصراع المستديم والتوتر والمنافسة على السلطة، التي سبقت طاعتهم، هي التي هيّجت غضبها. والأولاد في واقع الأمر تجاوبوا مع الأم حسب توقّعاتهم، فهي التي درّبتهم أن لا يطيعوها حتى يحتدم غضبها.

فأعطيتها نسخة من دروس عن تدريب الأطفال كنت ألفتها، ولما قرأتها قررت إجراء بعض التغييرات. من ذلك أنها أوضحت لابنها ألاّ «يعاكس» أخته الصغرى، وقالت له إنه إذا عصى الأمر فسينال «علقة» من أول مرة. وبالفعل كانت أول صفة صدمة بالنسبة إلى جوني؛ فإن ماما لم تؤجل العقاب حتى احتدام غضبها: لا إنذارات ولا تهديدات. بل توقّعت منه أن يطيعها من أول مرة!

بعد مواظبتها يومين على مجازاة كل مخالفة منه بعلقة، التفت جوني إلى أمه وقال: «لكن يا ماما أنت لا تعطيني أية فرصة!» فأجابت: «نعم، لن تحصل على أي فرص فيما بعد. وعليك أن تطيعني من أول مرة!» لقد كان يستخدم «الفرص» كذريعة للعصيان. بعد سنتين من ذلك، صار الآن يطيع من أول مرة، ولم تعد ماما تغضب عليه.

## تصريح بالعصيان

عندما تُصدر لجنة صيادي السمك تصريحاً بصيد خمسة أسماك سلمون للفرد لا أكثر، فهي لا تمنع صيد سمك السلمون، إنما هي تؤيده. قد أصدر هذان الأبوان تصريحاً بالعصيان بحد أقصاه خمس مرات، ثم عاقباه على سادس مخالفة! من ثم اعتاد الطفل كل يوم أن يصطاد المتاعب، وعيناه مثبتتان على «الحارس»، مترقباً ظهوره فيتوقف عن مخالفته قبل نفاذ «الفرصة الأخيرة».

فلما أنقصت ماما حد العصيان إلى صفر، فمنعت العصيان تماماً، عمّد جوني إلى امتحان القانون ليرى إذا كانت فيه ثغرة ما. لكن لما ثبت أن «الحارس» (ماما) جادّ، عدل الولد عن «صيد المتاعب» خوفاً من دفع غرامة ما قد اصطاده. وأخذ جوني الصغير يطيع كل القوانين من المرة الأولى!

إذا امتنع رجال المرور عن تغريم سائقي السيارات عن كل مخالفة، واكتفوا بالتهديد والوعيد، لكان ذلك مساوياً لإلغاء القوانين التي تحدد السرعة القصوى. تخيلوا معي شرطي مرور يستوقف سائقاً تعدّى السرعة المسموح بها، ثم يعبر له عن مدى الحزن والأسف الذي يشعر بهما بسبب مخالفته للسرعة القانونية. هل يمكنك أن تتصور شرطي مرور جالساً على جانب الطريق يلوّح بقبضته ووجهه مُحمر من الغضب بينما السيارات تمر به مسرعة؟ بعد التنبيه على سائق السيارة ست مرات وتحذيره، قائلاً: «إني لن أكرر

القول مرة أخرى»، لابد أن تنهار القوانين جميعاً و«كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَل مَا يَحْسَن فِي عَيْنَيْهِ».

أيها الآباء، لا تلوّموا أولادكم إذا علّمتموهم أن العصيان مرفوض فقط بعد عدة إنذارات، يتبعها تهديد ثم إنذار نهائي، وأخيراً شيء من العنف.

## الغضب

أيها الآباء، لقد درّبتم أولادكم على عدم التأديب مباشرة، بل الانتظار ريثما يزداد ضيقكم فينقلب غضباً. ثم سمحتم للغضب أن يكون هو الدافع المحرّك لكم، ثم تسألون: «لكن كيف أمتنع عن الغضب؟» بكل بساطة، أدّبوهم فور ارتكابهم أبسط المخالفات، ولا تنتظروا ريثما تتحول المخالفة إلى إهانة شخصية لكم. إن الأطفال يستشعرون في غضبكم وإحباطكم أن تأديبكم لهم له دافع شخصي، لا لمصلحتهم. فينظر إليكم الطفل نظرتَه إلى طفل أكبر منه «يَتَفَتَّوْنَ» عليه ليُملي إرادته عليه. فلا تتيسر للأطفال الفرصة لاحترام القانون وواضعه، إنما يُجبرون على الرضوخ إجباراً. ويشعرون بأنكم تسيئون إليهم وتسلبونهم حقوقهم. إنهم يرونكم تحمون حقوقكم، وتدوسون على حقوقهم. لقد فقدتم كرامة مركزكم، واهتزّت صورتكم في عيونهم. حيثما لا يوجد تطبيق منتظم للقانون، لا يرى الطفل وجوداً لأي قانون على الإطلاق، إنما كل ما يراه هو التنازع على السيادة.

لقد عوّدت نفسك -أيها الأب- أن يدفعك الغضب للتحرك، وعلمك ولدك أن لا يستجيب إلا للغضب. ولما فشلت في تدريب طفلك كما ينبغي، سمحت لجرثومة إشباع الشهوات أن تنمو وتترعرع متخطية كل الحدود.

### ربيت ولداً لا يعجبني

يرجع سبب غضبك على أولادك إلى عدم إعجابك بهم. لعلك تقول الآن: «لا، إني أحب أولادي كل الحب!». ومن قال غير ذلك؟! إنما قلتُ إنك «لا تُعجَبُ به» في مناسبات معينة، والسبب ببساطة هو أنهم يتصرفون في تلك المناسبات على نحو لا يبعث على الإعجاب أبداً. ومستحيل طبعاً أن تُعجَبَ بطفل مُدلل، أناني، «زنان»، وكثير المطالب.

طبيعي أن نستحسن الجيد والحسن، ونحتقر القبيح والضار. الله ذاته يشعر بمثل ذلك (مزمو ١١: ٥). ونحن أيضاً نحكم بالعدل في مثل هذه المواقف لا إرادياً. حتى حينما نشعر بالقباحة في أنفسنا، نبدأ نحتقرها.

يلزمك أن تواجه الأمر الواقع: أنك أحياناً لا تُعجَبُ بأولادك. لقد لاحظتُ مراراً وتكراراً الاستياء الشديد على وجه أم تجاه ابنتها أو ابنها المراهق. وقد تقول تلك الأم: «لكن غيري من الناس معجبون به». لكنهم إذا عاشوا معه تحت سقف واحد مثل والديه، لَمَا تحمّلوه.

فما سبب نفورك من طفلك؟ لن يعجبك الرد على هذا السؤال: لأنك أنت الذي جعلته هكذا بأساليب تدريبيك. لعلك تجيب: «لكني لم أضع أي أساليب للتدريب؛ إنما أكتفي بتأنيبهم وتوبيخهم كلما زاد الأمر عن الحد». نعم، لقد أصبت عين الهدف!

يتلقَى جميع الأطفال تدريباً ما. فأفعالهم وردود أفعالهم إن هي إلا انعكاسات لارتباطهم بأولياء أمورهم. وعليه كان إهمال التوعية والتدريب الواعي، مع محاولة كبح جماحهم عن طريق التهديد والوعيد ونوبات الغضب المؤدية للضرب، كان ذلك أسوأ نوع من التدريبات السلبية.

يدرك أغلب سائقي السيارات أن مسؤول الرادار يسمح لهم بخمس كيلو مترات في الساعة فوق حد السرعة المسموح به دون مخالفة، ولذلك تجد أن أغلب السائقين يسوقون فوق الحد المسموح بخمس كيلو مترات في الساعة. كذلك عندما تسمح لأطفالك بالعصيان أربع أو خمس مرات قبل إيقاع العقاب، فأنت تدربهم على العصيان.

ما وجه الجاذبية أو الإعجاب في طفل يزن دون سبب؟ إن السماح للطفل بهذا النوع من البكاء المزعج بدون داعٍ يصبّ شخصية الطفل في قالب سيصعب عليك قبوله مع الوقت. لكن لو أمسكت بزمام الأمر، وعلمته التحكم في مشاعره، والطاعة على الفور، لابتهج الطفل وطاب خُلُقاً. حينئذٍ تُعجَب الأم بابتها فضلاً على حبها لها. وستستجيب الطفلة لسرور أمها بها فتحبها وتكرمها

أكثر من ذي قبل. فيستمتع الاثنان بالوجود معاً، وتستريح الأم وتنتعش بقضاء الوقت مع أولادها.

### بنت الرابعة عشرة

أثناء حديثي مع أم قلقة على مسلك ابنتها التي تناهز الرابعة عشر، بات واضحاً أنها غير معجبة بها. وكان أن استنكار الأم وانتقادها المتكرر لابنتها أصاب الفتاة بالعبوس والنكد.

وهي في الواقع فتاة مطيعة ذات خلق جيد. إنها تفرح مع الآخرين، أمّا مع أمها فتصاب بالعبوس. فراودت الأم فكرة استخدام العصا لتصحيح هذا الاتجاه القلبي الرديء، إذ كانت تخشى فقد كل سيطرتها ونفوذها عليها. كانت الأم في شبابها جامحة شمسوس، فحرصت على الحيلولة دون انجراف ابنتها في ذلك المنزلق. لكن كلما ازدادت الأم انزعاجاً وضغطاً على الفتاة، خسرت المزيد من المعارك.

تعرفتُ على هذه الأسرة عندما كانت الابنة في عمر الطفولة. وأذكر أن الأم لم تُعجب بابنتها حتى في تلك السن المبكرة. ولما أحضرت الأم اتجاه قلبها الشخصي الرديء إلى المسيح، وجدت تطهيراً وشفاءً، ولم تلبث الفتاة المراهقة أن أبدت تحسناً ملحوظاً.

أحياناً تكون توقعات الآباء من أبنائهم في مجال الشخصية والمواهب ضيقة، فينهالون عليهم بالانتقادات كلما عجزوا عن تحقيقها. لكن ما يلفت النظر أكثر هو استياء الوالدين من أولادهم

الذين ربّوهم، خصوصاً عندما لا يكونون أحسنوا تدريبهم. إذا  
رسمت لوحة لا تحوز إعجابك، فلا تلقِ باللائمة على البطانة!